مُهِمَّاتٌ تربويَّة

رمضان ١٤٤٦ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء السادس عشر يوم الأحد 16 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعًا لقلوبنا، ونورًا لصدورنا، وجلاءً لأحزاننا وهمومنا، اللهم آمين.

لا زلنا نلتقي بفضل الله في هذه الساعة التي نسأل الله أن يكون مدخلنا فيها مدخل صدق، ومخرجنا فيها مخرج صدق، وأن يجعل لنا من لدنه سلطانًا نصيرًا.

لا زلنا نتكلم عن المهمات التربوية التي لو اهتممنا بها ورسخناها في قلوبنا وقلوب من نربي، نرجو بذلك أن نحقِّق العافية لأنفسنا في ديننا ودنيانا.

اليوم نقف مع سورة عظيمة من سور القرآن، وسور القرآن كلها عظيمة، فهو كلام رب العالمين الذي نزل به الروح الأمين، على نبينا عليه الصلاة وأتم التسليم.

هذه السورة مطلعها يفيض بالحق، تحمل من الأخبار عن الله، أسماؤه وصفاته فهي كالينبوع المتدفق، ثري لا ينضب

معينه ولا تغيض بركاته، والأخبار عن الله أعظم ما يحمله كلام الله.

العلم بأسمائه وصفاته أشرف العلوم على الإطلاق، وشرف العلم بشرف المعلوم، وهذا العلم إنما هو عطاء ورزق من الله، ينير الله به البصائر، ويضيء الله به القلوب وتسمو به الأرواح، إذا ذاقت طعمه وقطفت ثماره، والحقيقة أننا وأبناءنا، بل والأمة كلها تحتاج أن تبني تصوراتها على معرفتها بربها.

نسمع مطلع هذه السورة ونناقش ما يتيسر لنا من هذه الآيات:

(طه (1) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (3) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4) الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (6) وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)

هذا المطلع **لسورة طه** فيه ما فيه من الخيرات، فقد ابتدأت هذه السورة بالحروف المقطعة، مما يدلّ على أن موضوع السورة يدور حول عظمة هذا الكتاب، وفضل الله علينا بإنزاله، وفي هذه السورة خاصة يظهر كيف امتنّ الله علينا بإنزال هذا الكتاب وتعريفنا به -سبحانه وتعالى- كون أن الإنسان يعيش في الحياة لا يعرف الله، هذا معناه الحكم على هذا الإنسان بالتيه والضياع! كيف لا تعرف المتصرف في الكون، الذي ترى آثار قدرته في كل شيء، كيف لا تعرف من يعرف سرك ونجواك، وبيده -سبحانه وتعالى- تصريف شؤونك. الله بقدرته أمسك السماوات والأرض، كما أخبر -عزَّ وجلَّ-: (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا).

فلننظر إلى كل شيء حولنا ولنرى آثار كمال ربنا -سبحانه وتعالى-

ما أنزل الكتاب كما أخبر -سبحانه وتعالى- في مطلع هذه السورة (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ)، لا والله! إنما هذا الكتاب نزل لأجل أن تحصل السعادة ويحصل الفوز والفلاح. الوحي والقرآن والشرع من عند الرحمن الرحيم، موصل

إلى رحمته، والله سهله غاية التسهيل، وهذا من آثار رحمته ورأفته بخلقه. والله جعله غذاء للقلوب والأرواح، بل حتى أنه راحة للأبدان، وخلق الإنسان يحتاج إلى هذا الكلام العظيم وهذا الشرع المتين. خلقه بفطرة سوية ما أن يلاقي كلام رب العالمين وإرشاداته إلا يتلقاها تلقي المحب المحتاج المشتاق، تتلقى هذا الشرع الفطر السوية والعقول المستقيمة وتدرك شيئًا من خيره وتعيش على أثر ذلك.

هذا الكتاب ما نزل للشقاء، إنما كما قال -عزَّ وجلَّ- : (إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ) إلا ليتذكر به من يخشى الله، ويبقى كلما قرأ كلام الله، ازداد معرفة بالله، وازداد معرفة بمراضيه، وازداد محبة لله، هذا يخاف من التيه والشقاء والخسران، ويحب السعادة والنجاة.

فلما كان يخشى الضياع ويرجو النجاة، لا بد له أن يعرف الله. وهذا الكتاب جاء لتعرف الله؛ لذلك رب العالمين قال عنه: (تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى)، هذا الكلام العظيم نزل من عند الرب الخالق للأرض والسماوات. وانظر إلى رحمة الله، فإن هذا البدن نشأ من

الأرض وللأرض، وهذه الروح جاءت من ملكوت السماوات، والتقت هذه الروح بالبدن ونُفخ فيه كما شاء الله، وجعل الله تغذية هذا البدن من الأرض، وجعل تغذية هذه الروح من السماء،

لذلك قال عزَّ وجلَّ: (تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى). فالروح بأمسّ الحاجة لهذا الغذاء، وما يفعله هذا الكتاب في هذه الروح لا يمكن للإنسان وصفه، وربما لا يمكنه حتى إدراكه، فإن هذا القرآن يزرع في القلب معاني تستقر بها حياة الإنسان، وربما لا يدرك الإنسان من أين جاءه هذا الاستقرار، من أين أتته هذه الشجاعة، من أين جاءته هذه الطمأنينة، من أين جاءته هذه السكينة. لكن هذا الغذاء الذي نزل من عند رب الأرض والسماء، هذا الغذاء الذي جعله الله نعمة تستوجب الحمد.

لذلك تبدأ سورة الكهف بقوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا)، نعمة عظيمة.

فالقرآن يزرع في الإنسان معاني الخير التي يحمد عليها -سبحانه وتعالى- لذلك فيما يذكر عن مالك ابن دينار -رحمه

الله- أنه يقول: "يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمنين كما أن الغيث ربيع الأرض". فهذا الكتاب يزرع في الفؤاد معاني ويبثّ فيه روح.

رب العالمين نزّله من عنده -عزَّ وجلَّ- فنحن نستقبل هذا التنزيل شاعرين بحاجتنا إليه، معظمين له -سبحانه وتعالى- نعلم أننا بإقبالنا على هذا الكتاب نكون قد أحسنّا إلى أنفسنا؛ لأن الكتاب روح الروح، الكتاب حياة هذه الروح.

تصور أنه -سبحانه وتعالى- حين يكلمنا عن تنزيله للكتاب يقول: (تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى) وخلق ما فيهما ودبّر السماوات والأرض ومن فيهما، يخبرنا -عزَّ وجلَّ- باسم عظيم من أسمائه، كل شيء متأثر بهذا الاسم: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) -سبحانه وتعالى- الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وعمّت كل حيّ، وكما أن عرشه -سبحانه وتعالى- أعظم المخلوقات، فإن رحمته أوسع الصفات. هذا المعنى واضح في سورة الفاتحة، نبدأ بـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، كيف رباهم؟ (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)، فتجد

اسمين صفتها الرحمة، الرحمن ذو الرحمة الواسعة، الرحيم ذو الرحمة الواصلة، رباهم برحمته.

ثم تقرأ: (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فتقول إن من آثار رحمته أن يكون هناك يوم يجتمع فيه الناس، يوم يجازى فيه المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. فلنتصور أن الرحمة أوسع الصفات كما أن العرش أوسع المخلوقات، وما نحن إلا في رحمة الله -سبحانه وتعالى- .

يقول لنا رب العالمين مبينًا عظمته ولطفه بخلقه: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ) يخبرنا -عزَّ وجلَّ- عن ملكه، يبين لنا شمول قهره وملكه لكل شيء، كل شيء تحت ملكه وسلطانه، لا يتحرك متحرك إلا بأمره، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، ليس لنا من الملك شيء، وإنما هي في حكم العارية، لا يملك الإنسان لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا لا حياةً ولا نشورًا، فالجميع ملك لله. (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) وهذا علمه العظيم -سبحانه وتعالى- يعلم السر من الكلام، وأخفى من السر، يكون مرّ في القلب ولم يحصل أن تحدّث به نفسك، خاطرة،

(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) من السر، فعلمه -عزَّ وجلَّ- محيط بجميع الأشياء، دقيقها وجليلها، خفيها وظاهرها، يستوي عنده -سبحانه وتعالى- السر والعلانية، فهي سواء في علمه.

أخبرنا -سبحانه وتعالى- عن عموم خلقه، وأخبرنا عن عموم رحمته، وأخبرنا عن سعة رحمته وعلوه على عرشه، وأخبرنا عن عموم ملكه، وعموم علمه.

ثم تأتي هذه الآية التي هي من **المهمات التربوية**، وهي قاعدة إيمانية عريضة تستحق الاهتمام والبيان والنشر، تستحق التعلم والبذل، يقول -عزَّ وجلَّ- : (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى).

لما سمعنا عن هذه العموميات كلها، كماله المطلق الذي ظهر بعموم خلقه، وعموم أمره ونهيه، وعموم رحمته، وسعة عظمته، وعلوه على عرشه، وعموم ملكه، وعموم علمه، كانت النتيجة: أن الذي توجبه الفطرة السوية والشرع هو أن نتعلق به ونؤلهه ونعظمه ولا نعتقد إلهًا غيره.

ونعرف عنه هذا الأمر المهم:

أن (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)

وهذه المسألة هي التي ستكون موضوعنا ونقاشنا، أسماء الله الحسنى التي منّ الله -عزَّ وجلَّ- على أهل الإيمان بأن علمهم إياها.

الواجب في هذه الأسماء شيء عظيم، من ذلك: أن نعتقد أن الله موصوف بصفات الكمال، وأن أسماءه -سبحانه وتعالى- كلها حسنى، وأن لا أحد يشاركه في هذه الأسماء الحسنى.

عِظَم هذا الموضوع وكيف أنه من المهمات:

أولًا: الأسماء الحسنى من أعظم أسباب دخول الجنة لمن عرفها وآمن بها وأدّى حقها، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا واحِدًا، مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[1]، معرفتك بالأسماء الحسنى واعتقادك الصحيح فيها، واعتقاد أن الله موصوف بصفات الكمال وأن أسماءه كلها حسنى، هذا سبب من أعظم أسباب دخول الجنة «مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».

ثانيًا: أن الأسماء الحسنى تعرفك بالله -عزَّ وجلَّ- ولذلك في حديث أبيّ ابن كعب -رضي الله عنه- أن المشركين قالوا

---

[1]() أخرجه مسلم (2677).

للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يا محمد انسب لنا ربك، يعني من هو، فأنزل الله -عزَّ وجلَّ- : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ). تريد أن تعرف الله؟ تعرف عليه من أسمائه الحسنى التي أخبر بها عن نفسه.

ثالثًا: معرفة الأسماء الحسنى أصْل عبادة الله تبارك وتعالى. وقد ذكر أبو القاسم التيمي، قال: "أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، وقال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)."

وهذا يجعلنا نهتمّ بباب الأسماء، لا بد أن نعرفها ونفهمها لأجل أن يحصل التعظيم لله -عزَّ وجلَّ- ويحصل التعلق به فتكون العبادة ناتجة عن هذه المعرفة.

وانظر كيف أن الفطرة السوية والعقل السليم ترشد إلى ذلك؛ لأن الناس في عادتهم لا يأتلفون ولا يتعاملون إلا بعد أن يعرفوا الأسماء والصفات، وكلما عرف الإنسان الاسم والصفة لمن يعاشر، كلما عرف كيف يعاشره، وكيف يعيش معه، فالله الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف سخطته، أولى أن نعرف أسماءه، ونعرف معانيها.

مثلًا من عرف أن الله حيي كريم، ماذا سيحصل في قلبه؟ سيحصل في قلبه قوة رجاء في الله، وأصبح في قلبه طمع شديد. «إنَّ ربَّكم حييٌّ كريمٌ يستحيي من عبدِه أن يرفعَ إليه يدَيْه فيرُدَّهما صِفرًا»[2]، تصور كم سيكون هناك طمع أن ربنا لن يردك صفر، سينفعك بهذا الدعاء.

رابعًا: أن الأسماء الحسنى أعظم الأسباب لإجابة الدعاء. وفيما تركنا خلفنا في سورة الأعراف قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) فدعاء الله بأسمائه الحسنى هو أعظم أسباب إجابة الدعوة وكشف البلوى، فإنه -سبحانه وتعالى- يرحم لأنه الرحمن الرحيم، ويغفر لأنه الغفور.

والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- علمنا أن نسأل بأسمائه الحسنى ونتوسل إلى الله بها، فكان يقول: «أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أو أنزلتَه في كتابِك أو علمته أحدًا من خلقِك أو استأثرت به في علمِ الغيبِ عندك، أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي ونورَ صدري وجلاءَ حزني وذهابَ همّي وغمّي»[3]، وقد دخل رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-

---

[2] () أخرجه أبو داوود (1488).
[3] () أخرجه أحمد (3712).

وسمع رجلًا يقول: «اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ يا اللَّهُ بأنَّكَ الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أن تغفِرَ لي ذُنوبي، إنَّكَ أنتَ الغَفورُ الرَّحيمُ، فقال رسول الله، -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «قَد غَفرَ اللَّهُ لَهُ»[4] ثلاثًا.

ومثله دعاء الرجل الذي قال له النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «لقد سألَ اللهَ باسمِه الأعظمِ الذي إذا دُعيَ به أجابَ وإذا سُئِلَ به أعطى»[5] الرجل قال «اللهمَّ إنِّي أسألُك بأني أشهدُ أنك أنت اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفُوًا أحدٌ».

هكذا نعرف أن الأسماء الحسنى التي تقولها بلسانك وتعتقدها بوجدانك من أعظم أسباب استجابة الدعاء.

خامسًا: أن محبة أسماء الله سبب لحب الله، أنت تحب أسماء الله، الله يحبك! عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- بعث رجل على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد. كلما قرأ في الركعة الثانية يقرأ لهم ثم يقرأ قل هو الله أحد، وهي ليست سنة

---

[4] () أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (11180).
[5] () أخرجه أبو داود (1493).

ماضية فالسنة هي التي تأخذها عن النبي، -صلَّى الله عليه وسلَّم-. لكن لما عادوا إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وذكروا له ما فعل الرجل، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه، فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «أخبِروه أنَّ اللهَ يُحِبُّه»[6]، وفي رواية «حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ»[7]! يا للبشرى العظيمة، الرجل يقول: "إني أحبها"، والرسول يقول: "«حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ»" تصور أهمية الأسماء وأنها من المهمات التربوية، أن نعرف أن لله أسماء حسنى وأن نتدبر فيها ونتعلمها.

سادسًا: دعاء الله بأسمائه الحسنى أعظم سببًا لتفريج الكروب وزوال الهموم. في الحديث «اللهمّ إني أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أو أنزلتَه في كتابِك أو علمته أحدًا من خلقِك أو استأثرت به في علمِ الغيبِ عندك»[8]، وعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: كان الرسول يدعو عند الكرب «لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ

---

[6] () أخرجه مسلم (813).
[7] () أخرجه أحمد (12512).
[8] () أخرجه أحمد (3712).

العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأَرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[9].

سابعًا: معرفة أسماء الله الحسنى تثبت في نفس الإنسان العقيدة في الله. ركن الإيمان بالله هو الركن الأصيل، مبدؤه وأوله معرفة الله؛ لذلك في قوله تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) والرسول يشرح لنا «اللهمّ أنتَ الأوّلُ الذي ليسَ قبلكَ شيء، وأنتَ الآخرُ الذي ليسَ بعدكَ شيء»[10] فتصور كم هو مهم أن نناقش الأسماء من أجل تكوين العقيدة السليمة.

ابن القيم -رحمه الله- تكلم عن هذه الأسماء (الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) ومن خلالها تكلم عن أسماء الله عمومًا، قال:

"وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود سواه تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم به أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى

---

[9] () أخرجه مسلم (2730).

[10] () أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (10557).

جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها"

تعرف الله تعرف بقية المعلومات كلها؛ لأنك إذا عرفت أن الله قادر، فكر في كل قدرته، عليم فكر في كل علمه، حكيم فكر في كل شيء موضوع مكانه، وهكذا، الله رزاق تعرف كيف تقسّم الأرزاق حولك. هذه المعرفة منّة عظيمة، ومنّة عظيمة أن نتفكر دائمًا في أسماء الله وآثارها، كل الرحمات، مثل ما مر معنا، فلا يرسلها غيره ولا يمسكها سواه (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)[11]، إذا ما رحم الله من يرحم؟ انتهينا! الله هو الغفار، الغفور ومن يغفر الذنوب إلا الله، وكل عفو ومغفرة إنما يكون من مغفرة الله وعفوه، وهو الذي علمنا نحن كيف نعفو.

التأمل في هذا ومعرفة أن أصل العلوم معرفة أسماء الله -عزَّ وجلَّ- وأن كل العلوم الباقية تتفرع منها، هذا أيضًا يساعدنا على معرفة أن

---

[11]() فاطر: 2.

ثامنًا: معرفة أسماء الله وصفاته هي أصل خشيته. الذي يعلم أسماء الله -عزَّ وجلَّ- وصفاته هو الذي يكون في قلبه خشية الله.

قد يقال: "كثير اليوم يتكلمون عن أسماء الله، ثم تنظر إليهم فلا ترى آثار هذه الأسماء في سلوكهم، ولا خشية!" هنا يجب أن نتصور ما معنى أن تحصي أسماء الله، ما معنى العلم الحقيقي بهذه الأسماء! (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[12] والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أخبر عن نفسه فقال: «إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً»[13] هذا العلم هو الذي يأتي بالخشية، معرفة الله -عزَّ وجلَّ- أساس تعظيمه وخشيته، وأعظم أسباب البعد عن غضبه.

تاسعًا: من عرف الأسماء الحسنى كما ينبغي استقرت له نفسه وثبت في المحن وفزع لله من الفتن، بل عرف نفسه، وعرف كل شيء حوله، إذا عرفت أسماء الله، تصورت كيف يحصل استقرار للنفس.

---

[12] () فاطر: 28.

[13] () أخرجه البخاري (6101).

- من عرف أن الله -عزَّ وجلَّ- هو الرزاق علم أن كل ما دونه مرزوق (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)[14]، وكذلك نعلم أنه لا يملك الرزق سواه (وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ)[15]،

- من عرف أن الله هو الملك عرف أن كل ما دونه مملوك (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)[16]، فحين تعرف أنك مملوك تعرف نفسك. من عرف الله بالغنى، عرف نفسه بالفقر (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[17]،

- من عرف ربه بالبقاء عرف نفسه بالفناء (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)[18]

- من عرف الله بالعلم، عرف نفسه بالجهل (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[19].

---

[14]() هود: 6.
[15]() النمل: 64.
[16]() طه: 6.
[17]() فاطر: 15.
[18]() الرحمن: 26-27.
[19]() البقرة: 216.

هذا كله يوصلنا إلى مسألة عظيمة وهي **حسن الظن بالله**، هذه ثمرة نرجو أن نصل إليها!

- تصور كيف أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول لصاحبه: «ما ظَنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثُهُما»[20] تصور هذه الكلمة العظيمة التي تدل على معرفة يقينية بالله.
- ومثلها لما كان -صلَّى الله عليه وسلَّم- في الغار (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)[21]،

فحسن الظن هذا يجعلك حين تقول في أذكار الصباح والمساء «بسمِ اللَّهِ الَّذي لا يضرُّ معَ اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وَهوَ السَّميعُ العليمُ»[22]، وهنا بسم الله يعني بكل أسماء الله،

فمن فضائل أسماء الله أنك تستجلب بها الخير وتستدفع بها الشر وهذا يعتمد على قوة حسن ظنك بالله التي تعتمد على معرفتك الحقيقية بهذه الأسماء.

---

[20] () أخرجه البخاري (4663).
[21] () التوبة: 40.
[22] () أخرجه الترمذي (3388).

وهذا سيؤدي إلى أمر مهم، أن تفكر في «بسمِ اللَّهِ الَّذي لا يضرُّ معَ اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ»، تصور أن هذه الكلمة تفرق بين الحلال والحرام، (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ)[23]، الله يحل الذبيحة التي ذكر اسمه عليها، وفي مقابل التي لم يذكر اسم الله عليها ستكون حرامًا.

حين تفكر تفكيرًا سليمًا ماذا عرفت إذا لم تعرف الله؟ تصور أن اسم الله يفرق بين الحلال والحرام، اسم الله له بركة في المعيشة (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).

من البركات أن الشيطان لا يقرب ما ذكر اسم الله عليه، يقول الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «إذا دخلَ الرَّجُلُ بيتَه فذكرَ اللهَ -عزَّ وجلَّ- عندَ دُخولِه وعِندَ طعامِه؛ قالَ الشَّيطانُ: لا مَبيتَ لكُم ولا عَشاءَ»[24]، وفي الحديث الصحيح أنه وضع بين يدي النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- طعام، والصحابة يصفون كُنَّا إذَا حَضَرْنَا مع النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حتَّى يَبْدَأَ رَسولُ اللهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَيَضَعَ يَدَهُ، وإنَّا حَضَرْنَا معهُ مَرَّةً طَعَامًا،

---

[23]() الأنعام: 121.

[24]() أخرجه مسلم (2018).

فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فأَخَذَ رَسولُ اللهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، بيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّما يُدْفَعُ فأَخَذَ بيَدِهِ، فَقالَ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عليه، وإنَّه جَاءَ بهذِه الجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بهَا فأَخَذْتُ بيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ به فأَخَذْتُ بيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّ يَدَهُ في يَدِي مع يَدِهَا»[25].

تصور هذه التصرفات التي يمكن أن تحصل في البيوت بكل سهولة، تكون في المطبخ فتمد يدك وتأكل قبل أن تقول: "بسم الله"، استحل الشيطان الطعام، نكون مجتمعين على مائدة الإفطار ويمد أحد يده قبل أن يقول: "بسم الله" فيستحل الشيطان بهذا الإنسان، تصور كم لبسم الله من بركات في الحياة! انظر لهذه البركة في المعاش.

وحتى هذه البركة في الذرية، لذلك النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أرشد «لو أنَّ أحَدَكم إذا أراد أن يأتيَ أهلَهُ قال: بسمِ اللهِ، اللَّهمَّ جنِّبْنا الشَّيطانَ، وجنِّبِ الشَّيطانَ ما رزَقْتَنا، ثمَّ قُدِّرَ

---

[25]() أخرجه أبو داود (3766).

أن يكونَ بينهما ولَدٌ في ذلك لم يضُرَّهُ شيطانٌ أبدًا»[26] يعني لا يضر الشيطان هذا الولد.

وانظر لآثار هذه الأسماء، اسم الله حين تقول: «باسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ شَيءٍ يُؤْذِيكَ، مِن شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، باسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»[27]. اسم الله أمر عظيم.

وهذا كله على حسب ما في قلب الإنسان من **يقين وإيمان ومعرفة لأسمائه**، وليس مجرد حفظها ولا مجرد قراءتها، إنما تعيش مع كل اسم وتفهمه كما ينبغي.

ختام هذا الكلام أن نقول إن **مشكلتنا في الوساوس الكثيرة** التي تأتي للناس، سببها -والله أعلم- ونتكلم هنا عما يصيب الفؤاد، غير مسألة اختلال كيمياء المخ، الذي يعتبر مرض والوسوسة عرض له، نقصد بالوسوسة المعروفة التي تأتي للإنسان من خواطر متكررة، **هذا ما يذهب إلا بإملاء الفؤاد بمعرفة الله**، يجب أن تكون قوة في القلب لمعرفة الله. هذا مما يذكر من آثار الجهل بالله أو من آثار عدم الاشتغال بأسماء الله.

---

[26] () أخرجه البخاري (6388).
[27] () أخرجه الترمذي (972).

ليست الوسوسة هي فقط التي نعرفها بأنها أفكار تأتي وتمر في ذات الله أو في الوضوء، أو حتى في الحياة، لكن هذه الوسوسة وصلت أن هناك أناس استسلموا لها بسبب الجهل بأسماء الله، وضعف معرفتها، فأتت فرق مبتدعة وراء هذا الأمر.

فالعناية بدراسة أسماء الله أصبح واجبًا، من المهمات التربوية. لا بد أن يكون هناك برنامج واضح لكي يكون هناك كل يوم زيادة بمعرفة الله؛ لأن العبد لا تتم عبوديته لمولاه ولا يبلغ درجة الكمال إلا بفهم معاني أسمائه وصفاته لكي يضع نفسه في موقف العبودية.

وقد قال العز بن عبد السلام: "فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل."

الكون ما أوجد عبثًا، قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)[28]، الله خلقنا لوظيفة واضحة،

---

[28]() المؤمنون: 115-116.

نحن عبيد في مملكته، دورنا معرفته -سبحانه وتعالى- فكيف نترك أنفسنا جاهلين بما لأجله خلقنا: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) كل هذا الملكوت (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)[29]. أمر عجيب عظيم!

فالذي لا يعرف أسماء الله وصفاته حُرم من آثار هذه الأسماء بقدر ما جهل، ونُزعت بركات من حياته بقدر ما جهل.

المشكلة أنه أتت مفاهيم وأفكار منحرفة بسبب هذا الجهل، وتولدت مناهج سلوكية منحرفة أثرت على المسلمين إلى هذا اليوم؛ لذلك كان العلم بأسماء الله مهمة تربوية عظيمة.

وانظر ممن اشتهر، الخوارج، مثلًا، هؤلاء لما غفلوا عن أسماء الله تعالى وصفاته المتعلقة بالعفو والمغفرة والرحمة كان هذا سببًا لانحرافهم وعدم اعتدالهم، أصيبوا بالغلو في المعتقد والفكر، وهم نموذج للتشدد، فأرهبوا العصاة وهددوهم بأسماء الله وصفاته التي فيها الجلال. وأغلقوا

---

[29]() الطلاق: 12.

أمامهم أبواب الجنة لمطلق الذنب والمعصية، فظنوا في الله ظن السوء، وما أعطوهم من أسماء الله إلا أنه الجبار شديد البطش وجعلوه لا يغفر ولا يرحم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا!

تصور أنه غاب عنهم أسماء العفو والمغفرة والرحمة، فغاب الرجاء، فبقدر جهلهم وغفلتهم في أسماء الله حُرموا آثارها، ولا حاجة لقول ما حصل لهم، كيف أنهم شددوا على أنفسهم وكفّروا العصاة، واستحلوا الدماء، وأنكروا شفاعة الله للعصاة يوم القيامة، وحكموا على مرتكبي الكبائر أنهم خالدون في النار، مصائب كبيرة!

يقابل هؤلاء المرجئة، يوجد اعتقاد سيء من طرف آخر، أفرطوا في حسن الظن بالله وعفوه ومغفرته، وغفلوا عن أسماء وصفات الجلال، فأفرطوا في هذا الباب، وحملوا العصاة -بل حتى الفجرة والكفرة ووصلوا إلى الشيطان- على أنهم على السلامة والإسلام، فكانت النتيجة أن الناس لما وجدوا الباب مشرع إلى هذه الدرجة والكل داخل في رحمة الله فأصبحوا لا يعملون ولا يطيعون ولا يفكرون في آيات

الوعيد أبدًا! هذا نتيجة أنهم عبدوا الله بشيء من أسمائه وتركوا بقية الأسماء، وهذا كلام لطيف لابن القيم يقول فيه:

"وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء".

المتعبد حقيقة يجب أن يتعبد بجميع أسماء الله وصفاته التي علمنا إياها، فلا يأخذ ببعضها ويترك بعضها.

حين تنظر لأثر الجهل بأسماء الله وصفاته، تجد هذه المغالطات، الذي يقول: "نحن مجبورون على أعمالنا"، ومن يقول: "الله لا يعلم عن أعمالنا"، ويشوشوك من كل جهة.

كلما رأيت انحرافًا يجب أن تعرف أن مبدأه من عند عدم معرفة الله. مثل هؤلاء الذين يسمون أنفسهم المتصوفة وهم أهل تعطيل وتشبيه في الوقت نفسه، ساروا عل خطى

منحرفي النصارى واليهود، سلبوا الله -تعالى-، معاني الألوهية والوحدانية، وشبهوا المخلوقين به -سبحانه وتعالى- عظموهم وعبدوهم من دون الله، وهم ليسوا سواء. تحت هذا الاسم (المتصوفة) توجد فرق الله أعلم بها، منهم القبوريون الذين أعطوا الميتين شيئًا من صفات رب العالمين، مزارات واستغاثة واستشفاء وتبرك، ما أفردوا الله بأسمائه وصفاته.

وفيهم جماعة لم يصلوا أن يعبدوا غير الله في القبور لكن شغلوا أنفسهم بمقامات وهمية، فقالوا: شهود وفناء، هؤلاء أيضًا زادوا عن الحد فوصلوا إلى البعد تمامًا عن الدين، وصلوا إلى حد لا نستطيع في هذه العجالة أن نتكلم عنه، لكن النهاية أن تعرف أن السبب هو: عدم معرفة الله.

الضعف في معرفة أسمائه وصفاته عقوبته عظيمة، كما قال الله -عزَّ وجلَّ-: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)[30]، ولو أردت أن تفكر في كل فرقة خرجت وابتعدت سيأتي جذر المشكلة في كونها: ما عرفت الله، والذي لا يعرف الله لا بد أن يحصل له الانحراف.

---

[30]() التوبة: 67.

هذا موضوع عظيم مهم، سنعود له مرة أخرى لكن من جهة كون أن الشيطان تلاعب في هذا الموضوع ودخل بتسمية غير الله بأسماء الله (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا)[31]، وقد جمع الله -عزَّ وجلَّ- هذا المعنى في سورة الأعراف التي نجد فيها قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)، وفي نفس السورة يقول -عزَّ وجلَّ- : (قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ)، (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) وهناك من يلحد في أسماء الله فيسمي غير الله باسم الله.

هذا موضوع عظيم، لا بد أن نعلم أن الاهتمام بأسماء الله -عزَّ وجلَّ- وصفاته حق من حقوق الله، الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، وقد عرفنا أن أساس الإيمان بالله: معرفة الله، والذي يعرف أسماء الله سيكون هذا سبب لزيادة إيمانه.

أسماء الله -عزَّ وجلَّ- هي التي يحصل بها الانفعال في العبادات. تصور وأنت تسمع «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه»، سمع

---

[31]() النجم: 23.

استجابة، فأنت تقول: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدْ»[32]. العبادات دائرة حول هذه الأسماء والصفات.

نرجو من الله أن يجعلنا ممن أحسن لنفسه بزيادة العلم عن أسمائه وصفاته -سبحانه وتعالى- وبإذن الله يأتي لنا لقاء آخر نتكلم فيه عما يكمل هذه المهمة التربوية، والحمد لله رب العالمين.

---

[32]() أخرجه البخاري (796).